انيس الجليس

﴿ الجزء السابع — السنة الاولى ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ لوليو (تموز) سنة ٩٨ ﴾

﴿ الموافق ١٣ ربيع اول سنة ١٣١٦ ﴾

﴿ تعليم الفتاة ﴾

اذا قيل ان الانسان في صغره غصن يجب تقويمه فالفتاة ادق الاغصان عوداً واشدها الى التقويم حاجة واقربها الى التربية والتعليم انطباعاً واكثرها بما يمر حولها تأثراً وانفعالاً لما فطرت عليه من دقة الخلق ولطف التكوين وخفة الروح ورقة العواطف والوجدان حتى اذا قيل ان العلم يكون في الصبي الصغير كالنقش في الحجر فانه يكون فيها اشد تأثيراً واقوى ثباتاً لكثرة ما فيها من قابلية الانطباع ولانها قلما تتعرض لحوادث الدهر وصروف الايام وسوء العشرة وحرية المجال مما يتعرض له الشاب فيحول به احياناً كثيرة عن تربيته الاولى وينزعه من مغرس تأديبه القديم فيبدل اخلاقه ويصرفه عن الخطة التي ربي عليها من الصغر. بل ان الفتاة في الحقيقة هي التي يصح ان يقال عنها انها اذا شبت على شيء شابت عليه وهي التي ينطبق

عليها هذا القول من جميع وجوهه في الاعم الاغلب لما قدمناه من سهولة انطباعها وتأديبها بما فيها من النعومة واللين ومن عدم تعرضها في صباها لما يفسد تلك التربية الاولى من عوامل التأثير الخارجية وسوء العشرة وعواقب الحرية والانطلاق لانها مقيدة في منزل ولديها قيداً ثقيلاً لا تكاد تخرج منه الا الى قيد زوجها وهو قيد ثقيل ايضاً اذ كله فروض وواجبات وان كان يظهر في بادئ الامر انه حرية واطلاق من محابس الخدور وسجون الحجال. ولذلك قل تعرضها للشرور وسلم غصن طباعها واخلاقها من اهواء المفاسد والنقائص بما يحدق بها من سياج ذلك المنزل الوالدي الذي يمنع عنها تقلبات الايام ويصونها من رياح الغواية والفساد

وليس من قصدنا في هذه المقالة ان نذكر وجوب التعليم الدراسي للفتاة ولا ان نرغب فيه او نبرهن عليه فذلك شان قد سبقت اليه اقلام الكتاب وتناولته قرائح المشتغلين في فنون التهذيب والانشاء امداً طويلاً حتى صار الكلام فيه والحض عليه من قبيل تحصيل الحاصل. ولكن الذي نقصده بتعليم الفتاة غير علم المدرسة وآداب الكتابة وتلقين القواعد والرسائل انما هو تعليم الادب الغريزي وحسن السيرة الانسانية وبالتالي شرف النفس وعرفان الواجبات وان يكون للفتاة ما يسميه ارباب الكتابة الجديدة بالمبدأ فيقولون فلان ذو مبدأ اي ذو خطة حسنة شريفة يسير عليها ولا يتعداها مثل الوفاء بالوعد وعدم الاضرار بالناس واشباه ذلك مما يعدون نقصه عيباً ويقولون عمن يخل به ان فلاناً لا مبدأ له اي لا خطة شريفة يلزم نفسه السير عليها بما يحفظ به حقوق الاخوان

وما ننكر فائدة التعليم المدرسي ووجوب تلقين الفتاة مبادئ العلم

الصحيح حتى لا تخرج جاهلة غبية في شؤون القراءة والكتابة او ما فوقهما ايضاً اذا كان الى ذلك من سبيل. ولكن ذلك وحده اذا اقتصرت عليه الفتاة لم يفدها الفائدة التامة ولا كان منه المراد الكامل في تخريجها على حسن السيرة وطيب الاخلاق اذ قد يمكن ان تكون عالمة فاضلة من ذوات القلم البليغ والانشاء الحسن ولكنها لا تكون ذات مبدأ شريف تسير عليه وتلازم نفسها اتباعه بما تكون منه راحتها وراحة من حولها وحسن الاحدوثة والذكر بين الناس. اذ ليست مكارم الاخلاق من باب العلم الذي يدرس في الكتاب ولا معرفة الحقوق والواجبات الانسانية مما يلقى على صفوف المدارس ومقاعد الطلب وانما هو علم قائم بنفسه يظهره الجوهر والاصل الفطري وتساعد عليه التربية والتهذيب الاكتسابي

وبديه ان الفتاة قد خلقت للزواج كما خلقت العين للنور وكما خلق الغصن للثمر فهي لابد لها منه ولو طال عليها الامد قليلاً في بعض الاحيان ومن ثم فلا بد ان تكون بعد ذلك اما سعادة لزوجها واما شؤماً وشقاء عليه وعلى اهله وبنيه. وهذه السعادة او الشقاء لا تتعلق بكونها عالمة او جاهلة ودارسة كتب العلم او غير دارسة فان ذلك شأن يؤثر على عقلها وحسن كلامها وادراكها فقط ولكنه قد لا يمس فؤادها ولا يكون له تأثير على اخلاقها او يكون تأثيره الكبر والعنفوان والاعتداد بالنفس والاستبداد في المذهب والرأي مما يكسبه العلم من الغرور والادعاء احياناً ولا سيما اذا كان ناقصاً عن حد الكمال في النفوس التي تكون ناقصة عن هذا الحد ايضاً. ولكن راحة الحياة وسعادة الزوجين انما تتعلق بطيب الاخلاق وحسن المبادىء وكرم النفوس وشرفها وهذه كلها امور لا يمكن ان تنتج الا من حسن التربية وجودة

تعليم الفتاة انواع الشرف وتلقينها لوازم الكمال والانسانية بما تغالب به طبعها ويتبع فيه واجبها المفروض عليها فيما تلقنته من ادب النفس وفروض الاحسان. ذلك لان الطبع ميال من فطرته الى الشر والانسان مدفوع من غريزته الى الراحة والمسرات فاذا لم يجد من ادب النفس رادعاً ولا من طيب المبدإ زاجراً تبع هواه وترك ما عليه من فروض الانسانية والاداب التي لا يمكن اتباعها والاشتهار بها الا بمغالبة النفس على الهوى والجور على الطبع فيما يرومه من مسراته وملاهيه

ومما نضربه مثلاً لذلك فتاة تزوجت وهي لا مبدأ لها مما ذكرناه ولم يعلمها اهلها واجب الشرف وحفظ الحقوق فاذا غاضبها زوجها مرة وكانت هي المذنبة لم تجد من مبداء تربيتها ما يحملها على مغالبة طبعها والاقرار بخطائها والاعتذار عما جنته الى زوجها فتبقى غاضبة حاقدة عن كبرياء وانفة ويرى زوجها بما تعلمه من مبدأ سيرته انها هي المذنبة فالاعتذار يجب ان يكون من قبلها لا من قبله فلا يبدأ بصلحها من عند نفسه وقد تمر على ذلك الايام وكلاهما غاضب نافر وزوجها يذوق مرارة العيش وعواقب النكد بذنب لم يجنه ولكن هي التي جنته ولا يرى من واجب الحكمة ان يبادئها بالاعتذار خشية تماديها في الغرور والاعتداء فتكدر بذلك الحياة ويصبح الخصام يجرّ الخصام حتى لا تكون نهايته الا مرارة الفراق وقسوة الهجران والجفاء. بل ان الفتاة التي لا مبدأ لها اي التي تميل مع طبعها وتتبع ما ترسمه لها اهواؤها اذا وجدت في معيشة زوجها نقصاً او في ذات يده ضيقاً ولم يساعده الدهر على ارضائها بالملابس والحلي او نحوها من اعراض الحياة التي لا دخل لها في جوهر الزواج الصحيح نفرت منه وكدرت صفو عيشه واكثرت من عتابه

وملامه وقد يؤدي بها الطبع الفاسد احياناً الى هجرانه والتخلي عنه والعودة الى بيت ابيها وتركه وحده يقاسي ما كانت تشكو هي منه من ضيق ذات اليد مما لم يكن له تعزية عليه سواها لو كانت من ذوات المبدأ الطيب والطبع السليم. وقس على هذه الامور ما شئت سواها من متاعب الزوجة وسوء اخلاقها وكثرة تنكيدها التي لا تكون في الغالب الا من نقص المبدأ وعدم الاعتداد بحقوق الانسانية وواجبات الشرف والاحسان

بقي ان الذي يهم الفتاة في تعليمها وحسن تأديبها ان يدرج بها اهلها على ما سميناه بالمبدأ القويم في التربية وهو تعليمها الاقرار بالحق والاذعان للصواب ومراعاة قدر العيشة الزوجية وعرفان حقوق النظام العائلي وانها خلقت لاسعاد زوجها لا لتنكيده ولمقاسمته اجوال معاشه لا لمطالبته بما يعجز عنه ولاتباعه في ضيقه كما تتبعه في سعته لا لتركه عند العسرة ونسيان ما كانت فيه من نعيمه من قبل ولموءاساته في مرضه واعتلاله كما كانت تشاركه في صحته وسلامة جسمه لا للتخلي عنه مريضاً مدنفاً عن ملل وسآمة منه كانه لم يك صحيحاً سالماً ولم يك له احسان وفضل. الى ما شابه ذلك من محاسن الاخلاق وطيب الصفات التي تتم بها السعادة الزوجية وتكون منها راحة الزوجين والعائلة جميعاً وعليها يتوقف نظام المنزل الصغير واهله كما تتوقف راحة الدولة الكبيرة ونظام الرعية تماماً اذ كلاهما قائمان بعرفان الواجبات وتأدية الحقوق بين الافراد . والله الموفق الى الصواب وهو الهادي الى محجة الكمال وسبيل الرشاد

*
* *